أَوَّلُ المُؤمِنَات

٤٣
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

أول المؤمنات

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ

صدق الله العلي العظيم

سورة العنكبوت/ الآية ٦٩

توطئة...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين وبعد....

بين يدي القارئ بحث عن سيدة آمنت وآزرت وبذلت حين قل المؤمن والناصر والمنفق في مرحلة ظهور الدعوة الإلهية الخاتمة المهيمنة على الدين كله في مجتمع يصفه أحد أفراده: (كنا قوم أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء ا لجوار ويأكل القوي منا الضعيف).

صدع فيها النبي محمد ﷺ إلى الدعوة في التوحيد والإيمان بالله فوجد ذلك المجتمع على مستويات متعددة في الإيمان وذلك لأن الإيمان بالرسالة السماوية وبنبوة أي نبي يمكن أن يأتي على نحوين؛ الأول منها الاستناد إلى العقل والفطرة لأن هذا الوجود الواسع لا يمكن أن يوجد من تلقاء نفسه بل يحتاج إلى صانع حكيم متقن وهذا الصانع أعظم من أن تدركه الحواس، وضمن الموجود الإنسان الذي يعيش في مجتمعات تحتاج إلى قوانين تنظم العلاقات فيما بينهم والعلاقة بينهم وبين الصانع، ولا يمكن للإنسان أن يتقن تلك القوانين المحكمة لعجزه عن إدراك أسرار الوجود المودعة في طبيعة الإنسان وغيره فاحتيج إلى مرسل من الصانع، يحمل تلك الأنظمة

والقوانين المحكمة لتنظيم حياتهم وتنظيم العلاقات فيما بينهم وبين الخالق أولاً ثم فيما بينهم، ولا يمكن لأي إنسان أن يؤدي تلك الوظيفة إلا للكمل من البشر وذلك لاختلاف القابليات والاستعدادات لتلقي العلوم والتبليغ عنه تعالى.

والثاني الاستناد إلى المعجز المشفوع بإخبار الأنبياء السابقين عن صفات النبي اللاحق وعلامات ظهوره.

فكان الانتماء للإسلام بظروف مختلفة، منهم من آمن باقتضاء لدليل العقل والفطرة ومنهم من كان مذكوراً لديهم في كتبهم السماوية في التوراة والإنجيل كما قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[1]. ومنهم من كان على الحنيفية ومنهم من آمن بسبب المعجزات التي كانت تحصل على يد النبي ﷺ ومنهم من التحق بالإسلام لمصلحة خاصة وسنبين ذلك من خلال البحث إن شاء الله.

فالبحث هنا عن السيدة العظيمة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى وإيمانها السابق وما قدمته للإسلام وفضائلها ومنزلتها عند الله ورسوله، والذي للأسف الشديد

(١) الأعراف - الآية – ١٥٧.

لم يأخـذ عنواناً أولياً في كتب المسـلمين وإنما كان دائما عنواناً ثانويـاً، بـل إن أفضليتهـا ومواسـاتها وإنفاقهـا الأمـوال على المسلمين الأوائل قبل الهجرة وحين الهجرة تعنون إلى آخرين.

وهـذا البحث اختصار لبعض مواقفها المشـرفة وإنما أخذنا نتـف قليلة عسـى أن يكون جذوة تبعـث في الباحثين الكرام أن يتفقدوا أحوالها وما تميزت به .

أول المؤمنات:

أول قلـب غزتـه دعـوة التوحيـد بعـد قلب علـي عليه السلام هو قلب السـيدة الطاهـرة خديجـة عليها السلام ولما ينبلج نور الإسـلام بعد ولما يظهـر ضيـاؤه علـى أهل مكـة وغيرهم مـن البشـرية فلم يكن إيمان خديجة وليد لحظات دعوة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وإنما كان له مقدمات فإخبارات أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن ظهور النـبي الخـاتم صلى الله عليه وآله وانتظارهم له مما سمع به القاصي والداني فكانـت خديجـة تعلم أن أيام ظهور النبي صلى الله عليه وآله قد حلت وكان لها ابـن عم تنصـر وقرأ الإنجيـل فكان يذكـر أنـه أزف وقت ظهور النـبي مـن العرب، فضـلاً عما رأت مـن العلامـات التي ظهرت فيـه فقـد روت كتب المسـلمين أنها أرسـلت إليـه (إلى النبي) في

أن تعطيه مالاً يتجر لها به إلى الشام ففعل وأرسلت معه عبداً يقال له ميسرة فنزلوا منزلاً بقرب دير فيه راهب ونزل الناس، وذهب رسول الله ﷺ إلى شجرة بعيدة عنهم، فنزل تحتها، ورآه الراهب، فنزل حتى أتاه، ورآى ميسرة يخدمه ويحدثه، فخلا به، وقال: من أين هذا الشاب الذي أراك معه؟ فقال: من أهل مكة حرم الله، قال من قريش؟ قال: نعم، من أوسطها نسبا، فما تريد منه؟ قال: إنا نأثر أن نبياً يبعث من العرب وأنه ينزل تحت هذه الشجرة في هذا اليوم، وأنه ما نزل تحتها قط في مثله إلا نبي، قال له ميسرة:والله دلت عليه بذلك عندنا أخبار كثيرة بمثل ما ذكرت، قال له الراهب: تكتم عليه ما قلت لك، فإنه له أعداء من اليهود، ثم نظر ميسرة بعد ذلك في يوم قد اشتد حر الشمس، فما يملك أحد ممن كان معهم الكلام من شدة الحر، وغمامة قد أظلت رسول الله ﷺ وهو وادع لم يصبه شيء مما أصاب القوم، وربح في تلك التجارة ما لم يربح أحد مثله فلما قدم بذلك على خديجة قالت لغلامها ميسرة: ما أعظم أمانة محمد وبركته، ما ربحت في تجارة قط كربحي فيما أبضعته معه،فقال لها ميسرة: وأعظم من ذلك ما سمعته فيه ورأيته منه، قالت: وما هو؟ فأخبرها بخبر الراهب وخبر الغمامة[1].

فمجموع الشواهد يدلل عند السيدة خديجة إن النبي المبعوث هو السيد الكريم محمد ﷺ لما كان يتمتع به من مكارم

(١) شرح الأخبار ج١ ص١٨٤.

الأخلاق الذي يشهد به أهل مكة جمعاء، واستمرت الأيام ونزل الوحي ولم يستجب لهذه الدعوة المباركة في بادئ الأمر إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والسيدة أم المؤمنين خديجة عليها السلام فكان هؤلاء الثلاثة يعبدون الله وحدهم وبعدها توالت الشهادة بالإسلام من الأقربين من النبي صلى الله عليه وآله منهم من أعلن إسلامه ومنهم من أسره لمصلحة مهمة وهي حفظ أمين الدين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وآله، يروي الحاكم الحسكاني: إن عفيف الكندي قال: قدمت لابتاع لأهلي ثيابها وعطرها فآويت إلى العباس بن عبد المطلب وكان رجلاً تاجراً، فأنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء وارتفعت إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة، فلم ألبث إلا يسيرا حتى جاء غلام فقام عن يمينه، ثم لم ألبث إلا يسيرا حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة، فقلت: يا عباس أمر عظيم، فقال العباس: (نعم) أمر عظيم، تدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، هذا ابن أخي، هل تدري من هذا الغلام؟ قلت: لا، قال: هذا علي بن أبي طالب هذا ابن أخي، أتدري من هذه المرأة ؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجته، إن ابن أخي هذا أخبر أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[1].

(١) شواهد التنزيل/ ج١ ص١١٣.

وفي كتاب مناقب أمير المؤمنين إضافة وهي أن عفيف الكندي قال: حدثني (أي العباس) أنه نبي وأن الله سيفتح عليه (ملك) كسرى وقيصر ولم يتبعه على أمره هذا إلا امرأته وهذا الفتى ابن عمه علي بن أبي طالب[1].

لم يكن إيمان السيدة خديجة بنت خويلد إيمان طمع بما ستفوز به من غنائم وما يأتيها من كنوز كسرى وقيصر هذا الأمر الذي صرح به النبي ﷺ وكان معلوماً عند أهل مكة فضلاً عما رواه اليهود والنصارى عن النبي وإنه من علاماته ﷺ، ليس إسلامها كما أظهر البعض إسلامهم للنبي ﷺ عسى أن يملك في دولته المباركة فيخرج من ذله وفقره ومهانته وهذه الحقيقة صرح بها القرآن الكريم في أوائل نزوله وأسماهم مرضى القلوب قال تعالى: (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)[2] فعدم فهمهم وابتعادهم عن روح الإسلام ينبئ بما في سرائرهم ودخالة أنفسهم فإذا لم يكن الإيمان هو الباعث لانضمامهم فهو ما قدمناه من بشارة النبي ﷺ في فتح بلاد كسرى وقيصر، وهو بخلاف ما كان من سيرة هذه السيدة الجليلة التي وهبت كل أموالها للنبي ﷺ حتى ينفقها في سبيل الله وكما سيمر علينا.

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج١ ص٢٦١، لمحمد بن سليمان الكوفي.
(٢) سورة المدثر/ الآية ٣١.

خديجة.. أول من تنفق في سبيل الله:

حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على الإنفاق في سبيل الله وسد عوز الطبقات الضعيفة لإنعاشهم مادياً وفك العاني منهم والمحتاج، لكن البذل في سبيل الله لا يكون إلا لمن اعتقد بحقيقة العبودية وهو ما أشار إليه حديث الإمام الصادق عليه السلام حين سئل عن حقيقة العبودية فقال عليه السلام: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً ، لأن العبيد لا يكون لهم ملك ، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به ، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره الله تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه .... إلى آخر الحديث[1]، فالذين يؤمنون بوعد الله تعالى يعيشون حالة الاطمئنان لكرم الله تعالى على إثابتهم فلا تهتز لهم يد عند الإنفاق ولا يجد الحرص إلى أنفسهم سبيلاً، بل يتحركون دائماً في طريق الإنفاق وا لجود على عباد الله من الفقراء والمساكين وا لمحتاجين ولا يطلبون الأجر إلا منه جل وعلا. ومن هؤلاء السيدة الطاهرة خديجة عليها السلام فلقد روت كتب السير والتأريخ إنفاقها في سبيل الله وهبتها لكل أموالها إلى النبي الأكرم ينفقها حيث أراد صلى الله عليه وآله فكان لأموالها الأثر البالغ والركيزة المهمة في سد الاحتياج المالي عند المسلمين الأوائل وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة في قوله تعالى (ووجدك عائلا

(١) البحار ج١ ص٢٥.

فأغنى) أي أغناك بمال خديجة عليها السلام وذكر هذا المعنى الكثير من المفسرين، وصرح بنفس هذه الحقيقة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: (ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة)[1] وروى الكثير من المسلمين قول أبو عبيدة حين قال: قلت لعبيد الله ابن أبي رافع أو كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجد ما ينفقه هكذا ؟ فقال[ابن أبي رافع]: إني سألت أبي عما سألتني ، وكان يحدث بهذا الحديث ، فقال : فأين يذهب بك عن مال خديجة عليها السلام؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفك من مالها الغارم والعاني ويحمل الكل، ويعطي في النائبة ، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة ، ويحمل من أراد منهم الهجرة ، وكانت قريش إذا رحلت عيرها في الرحلتين - يعني رحلة الشتاء والصيف - كانت طائفة من العير لخديجة ، وكانت أكثر قريش مالاً ، وكان صلى الله عليه وآله ينفق منه ما شاء في حياتها ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها[2]. ومن جملة مالها من أواني الذهب مائة طشت، ومن الفضة مثلها ومائة إبريق من ذهب، ومن العبيد وا لجواري مئة وستون ومن البقر والغنم والإبل والحلي والحلل وغيرها ما شاء الله قيل: كان لها ثمانون ألفاً من الإبل بل كانت تؤجر وتكري من بلد إلى بلد فبذلت تلك الأموال وا لجواري والعبيد لرسول الله صلى الله عليه وآله[3] وهو يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله كان يتولى الإنفاق على المسلمين من أموال خديجة في تلك الظروف الحرجة التي واجهوها في ابتداء الدعوة وأيام الحصار في الشعب حين اضطهد أئمة الكفر من قريش

(١) أمالي الطوسي ص٤٦٨.
(٢) نفس المصدر.
(٣) شجرة طوبى ج٢ ص٢٣٣

وأتباعهم النبي ﷺ وأتباعه وحاصروه حصاراً اقتصادياً شديداً. فلم يكن أحد ينفق على المسلمين غير النبي ﷺ ولكن بعض المتزلفين والمنحرفين جعل هذه الفضيلة لغيرها من الناس، وشاهد آخر هو قول أسماء بنت عميس لعمر حين عيرّها بأنه سبقها بالهجرة فغضبت وقالت كلمة، كذبت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار البعداء البغضاء في الحبشة.... إلى آخر الكلام)[1]، ولم تقع للنبي ﷺ الحاجة إلا بعد الهجرة لتوسع نطاق الإسلام فكان يحتاج إلى تجهيز ا لجيوش وقيادة العساكر، وهؤلاء رجال بني سالم بن عوف ورجال بني بياضة ورجال بني ساعدة ورجال بني الحرث بن الخزرج ورجال عدي أخوال رسول الله ﷺ كل منهم رفع عقيرته يوم دخوله ﷺ إلى المدينة بقولهم هلم إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة[2] بينما لم يُسمع ولم يُذكر أن أحداً من المهاجرين أظهر شيئاً من المال، فلم يكن من المهاجرين المسلمين أموال معهودة معروفة، ومن الذين قيل عنهم أنهم أصحاب أموال لم يرو عنهم ذلك ولم يذكر أنهم أنفقوها لخدمة الإسلام والمسلمين، بل أن كل ما روي عن أصحاب الأموال أنهم تركوها في مكة، وفي عام الفتح طلبوا من النبي أن يسترجع ما أخذته قريش - علماً أن أموالهم لم تكن إلا بيوتهم التي كانوا يسكنونها- وقد جاء في روايات هجرة النبي ﷺ وبعد أن فشلت قريش في إيجاد النبي ﷺ جاء أمير المؤمنين

(١) .صحيح مسلم ج٧ ص١٧٢.
(٢) الغدير ج٨ ص٢٤بتصرف.

عليه السلام وهند بن أبي هالة حتى دخلا على رسول الله الغار، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين نرتحلهما إلى يثرب، فقال صلى الله عليه وآله :لا آخذهما ولا أحدهما إلا بالثمن، قال: فهي لك بذلك فأمر صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فأقبضه الثمن[1] وفي رواية ابن إسحاق قال صلى الله عليه وآله: لا أركب بعيراً ليس هو لي قال: فهو لك، قال: صلى الله عليه وآله: لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به، قال: أخذتها بكذا وكذا، قال صلى الله عليه وآله: أخذتها، قال: هي لك، وفي حديث أسماء بنت أبي بكر عند الطبراني فقال:بثمنها يا أبا بكر، فقال: بثمنها إن شئت، ونقل السهيلي في الروض عن بعض شيوخ المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة، فقال: أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه وأفاد الواقدي أن الثمن ثمانمائة[2].

هنيئاً مريئاً يا خديجة:

كانت السيدة خديجة محط أنظار رجالات قريش لما تملكه من صفات جامعة فهي من خيرة نساء قريش شرفاً وأكثرهن مالاً وأحسنهن جمالاً وكانت تسمى في الجاهلية بالطاهرة وسيدة قريش وكل يتمنى ويحرص على الزواج بها لو استطاعوا لذلك سبيلاً وبقي أسياد قريش يتوافدون على خطبتها ولكنها كانت

(١) أمالي الطوسي ٤٦٧.
(٢) فتح الباري ابن حجر ج٧ ص١٨٣.

ترفض كل من تقدم إليها وامتنعت عن الاقتران بأي رجل منهم رغم ما بذل لها من الأموال في مهرها فقد روت كتب التأريخ أن السيدة الجليلة عليها السلام تقدم لخطبتها الكثير ومنهم عقبة بن أبي معيط والصلت بن أبي إيهاب وأبو جهل وأبو سفيان فرفضتهم جميعاً وفي العاشر من ربيع الأول اقترنت السيدة الطاهرة برسول الله رغم أنه لم يكن من أصحاب الأموال ولكنه تميز عن الآخرين وتمتع بصفات وسجايا لم تكن لأحد من قريش فهو الصادق الأمين فلو كان لنا أن نحلل شخصية هذه السيدة لقلنا أنها لم تغتر بزبارج الدنيا ولم تكن تبحث عن اللذة ولا المال ولا الشهرة وإنما كانت تبحث وتجيل النظر عن رجل يملك الصفات الفاضلة والسجايا الكريمة ولو لم تكن كذلك لما ردت زعماء قريش أصحاب المال والقدرة والسلطان فسلوك هذه السيدة العظيمة في إعالة الفقراء وسد عوزهم قبل الإسلام ينبئك عن اختيارها للزواج بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله للتوافق الروحي بينهما، أما كيف كانت خطبتها وزواجها من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، يقول الإمام الصادق عليه السلام لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل (ابن) عم خديجة فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ثم إن ابن أخي هذا- يعني رسول الله صلى الله عليه وآله- ممن لا يوازن برجل من قريش إلا رجح به ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ولا عدل

لـه في الخلـق وان كان مقلا في المال فإن المال رفد جار وظل زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة وقد جئناك لنخطبها إليك برضاهـا وأمرهـا والمهر عليّ في مالـي الذي سـألتموه عاجله وآجلـه ولـه ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شـائع ورأي كامل ثم سكت أبو طالب وتكلم (ابن) عمها وتلجلج وقصر عن جواب أبـي طالـب وأدركه القطع والبهـر، وكان رجلا من القسيسـين، فقالت خديجة: مبتدأة يا عماه إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشـهود فلسـت أولى بـي من نفسـي، قد زوجتـك يا محمد نفسـي والمهـر عليّ في مالـي، فأمر عمك فلينحـر ناقة فليولم بهـا، وادخل علـى أهلك، قال أبو طالب اشـهدوا عليها بقبولها محمـداً وضمانهـا المهر في مالها فقال بعـض قريش يا عجباه المهر على النسـاء للرجال فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام علـى قدميه -وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه- فقال: إذا كانـوا مثل ابن أخي هذا طلبـت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهـور وإذا كانـوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي، ونحر أبو طالـب ناقة ودخل رسـول الله ﷺ بأهله، وقـال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت

لـك الطيـر فيما كان منك بأسعد

تــزوجتــه خيــر البريــة كلهـا

ومن ذا الذي في الناس مثل محمد

وبشر به السيدان عيسى بن مريم

وموسى بــن عمران فيــا قرب موعد

أقــرت بــه الكتــاب قدمــاً بأنــه

رسول من البطحاء هاد ومهتد [1] [2]

فكانــت الزوجــة المطيعــة الخاضعــة الوفيــة الــتي ســارعت لاعتناق الإســلام منذ ابتداء الدعوة بوعي وبصيرة، مع علمها بمــا ينطــوي قبول الدعــوة على مخاطر ومتاعــب، وجعلت كل ثروتها ومالها طوع أمر النبي ﷺ وشاطرت رسول الله ﷺ الآلام والمآسي والمتاعب ورضيت بمرارة الحصار وقد بلغ من خضوعها للنــبي الأكــرم ﷺ وحبها له إنهــا بعد أن اقترنــت بالنبي قالت لرسول الله ﷺ تطلب منه الدخول إلى بيتها: إلى بيتك، فبيتي

(١) جامع أحاديث الشيعة ج٢ ص١١٣.

(٢) ويروى إن عم خديجة عليها السلام هو من خطب إليه أبو طالب وليس ابن عمها ورقه وسـياق الحديث يبين إنه الواقع فإن خطاب السـيدة كان (يا عماه) ولم تقل يا بن عمي لأن ورقه بن نوفل هو ابن عمها وليس عمها.

بيتك، وأنا جاريتك[1]، وأما كم كان عمر السيدة خديجة عليها السلام حين تزوجها النبي صلى الله عليه وآله فقد جاءت فيه روايات مختلفة تبدأ من سن الخامسة والعشرين إلى السادسة والأربعين وهي كما نقلها صاحب الصحيح من السيرة حيث قال: (وهي على النحو التالي:

١- ٢٥ سنة ورجحه البيهقي/ دلائل النبوة/ ج٢ ص١٧، البداية والنهاية ج٢ ص٢٩٤ -٢٩٥ (وغيرهم).

٢- ٢٨ سنة هو ما رجحه كثيرون/ شذرات الذهب ج١ ص١٤١ ورواه عن ابن عباس كل من/ انساب الإشراف ص٩٨/ تأريخ دمشق ج١ ص٣٠٣ (وغيرهم).

٣- ٣٠ سنة السيرة الجليلة ج١ ص١٤٠ وتأريخ الخميس ج١ ص٢٦٤ وسيرة مخلطاي ص١٢ وتهذيب تأريخ دمشق ج١ ص٣٠٣.

٤- ٣٥ سنة البداية والنهاية ج٢ ص٢٩٥ والسيرة النبوية/ ابن كثير/ ج١ ص٢٦٥ وغيرهم.

٥- ٤٠ سنة أنساب الإشراف (حكم حياة النبي) ص٩٨ وغيره.

٦- ٤٤ سنة تهذيب تأريخ دمشق ج١ ص٣٠٣.

(١) البحار ج١٦ ص٤.

٧- ٤٥ تهذيب الأسماء ج٢ ص٣٤٢ وغيره.

٨- ٤٦ أنساب الأشراف (قسم حياة النبي) ص٩٨.

وإن الكثير قد رجحوا القول الثاني كما ذكره ابن العماد أما البيهقي فقد صحح القول الأول حيث قال: (بلغت خديجة خمساً وستين سنة ويقال خمسين سنة وهو أصح) فإذا كانت رحمها الله قد تزوجت برسول الله قبل البعثة بخمس عشرة سنة كما جزم به البيهقي نفسه[١] فإن ذلك معناه: أن عمرها حين زواجها كان خمساً وعشرين سنة ورجح هذا القول غير البيهقي أيضاً، وأما الحاكم الذي روى لنا القول الثاني المتقدم عن ابن إسحاق، فإنه لم يوضح حقيقة ما يذهب إليه غير أنه روى عن هاشم بن عروة قوله أن خديجة قد توفيت وعمرها خمس وستون سنة، قال: (هذا قول شاذ، فإن الذي عندي: أنها لم تبلغ ستين سنة) فكلامه هذا يدل على أنه يعتبر القول بأنها قد تزوجت بالنبي وعمرها أربعون سنة شاذ ويرى أن عمرها كان أقل من خمس وثلاثين حينئذ ولكنه لم يبين القول الذي يذهب إليه هل هو ثلاثون أو ثمان وعشرون؟ أو خمس وعشرون؟)[٢].

ولم تتزوج السيدة خديجة أحداً قبل النبي ﷺ بل كانت باكراً

(١) في دلائل النبوة ج٢ ص٧٢.

(٢) الصحيح من السيرة ج٢ ص١١٦-١١٧ لم ترد في هذا الكتاب لفظة (غيرهم، غيره) وإنما وضعناه للاختصار وإن شئت فراجع المصدر.

ثم أنه قد قيل أنه ﷺ لم يتزوج بكراً غير عائشة، وأما خديجة فيقولون أنها تزوجت قبله ﷺ برجلين ولها منهما بعض الأولاد وهما عتيق بن عائذ بن عبد الله التميمي المخزومي وأبو هالة التميمي أما نحن فنقول إننا نشك في دعواهم تلك ونحتمل جداً أن كثيراً مما يقال في هذا الموضوع قد صنعته يد السياسة، ولا نريد أن نسهب في الكلام عن اختلافهم في اسم أبي هالة هل هو النباش بن زرارة أو عكسه؟ أو هند؟ أو مالك؟ وهل هو صحابي أولا؟ وهل تزوجته قبل عتيق؟ أو تزوجت عتيق قبله؟ ولا في كون هند الذي ولدته خديجة هو ابن هذا الزوج أو ذاك فإن كان ابن عتيق فهي أنثى، وإلا فهو ذكر، وإنه هل قتل مع علي في حرب الجمل؟ أو مات بالطاعون في البصرة؟ لا نريد الإطالة بذلك وإنما نكتفي بتسجيل الملاحظات التالية.

اولا: قال ابن شهر اشوب: (وروى) احمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص أن النبي تزوج بها وكانت عذراء ويؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع: أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة.

ثانيا: قال أبو القاسم الكوفي (أن الاجماع من الخاص والعام، من أهل الآثار ونقلة الأخبار، على أنه لم يبق من أشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلا من خطب خديجة، ورام تزويجها فامتنعت على جميعهم من ذلك فلما تزوجها رسول

الله ﷺ غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشراف قريش وأمراؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم، وتزوجتي محمداً يتيم أبي طالب، فقيراً، لا مال له؟! فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة، يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش وأشرافها على ما وصفناه ألا يعلم ذوو التمييز والنظر أنه من أبين المحال وأفضع المقال)[1]، وقد تميزت السيدة خديجة عن نساء الرسول ﷺ بأنّهُ ﷺ لم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت لديه ما لم تبلغه امرأة قط من أزواجه ولكن هذه الميزة حاول أعداء أهل البيت تشويهها، وقد روى ابن سيد الناس عن الزهري في مسألة خطبتها وتزويجها قوله: وكان خويلد أبوها سكران من الخمر فلما كُلم في ذلك أنكحها فألقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحى من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له أنكحت محمداً خديجة، وقد ابتنى بها فأنكر ذلك ثم رضيه[2]، ولنا مع هذه الرواية مناقشة سريعة.

١- إن خويلد بن أسد أبو السيدة قتل في حرب الفجّار على رأي بعض المؤرخين وأهل السير وأما الباقي منهم فيقول أنه مات قبل حرب الفجار، وقد كانت هذه الحرب قبل مبعث النبي ﷺ بعشرين عاما، أي حين كان عمره الشريف عشرين عاماً على رأي البعض، والبعض الآخر

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ/ج٢ ص١٢٤-١٢٥.
(٢) عيون الأثر في فنون المغازي والسير / ج١/٧٢.

ومنهم ابن هشام يروي أن عمره الشريف أربعة عشر عاماً أو خمسة عشر عاماً، والمشهور في زواجه ﷺ أنه كان له من العمر خمس وعشرون سنة فيكون بين وفاة خويلد وزواج النبي ﷺ من خديجة على الأقل من السنوات خمساً إن لم تك عشراً.

٢- أين الشرف والعفة التي تتمتع بها السيدة خديجة عليها السلام والذي بسببه كانت تسمى عند قريش بالطاهرة، ألم يمنعاها من أن تفعل ذلك؟ وكيف يمكن أن يصدق عاقلٌ هلوسةً كهذه والطرف الآخر - الخاطب - رسول الله وبنو هاشم وعلى رأسهم سيد البطحاء أبو طالب أهل النبل، هل يقبل رسول الله بهذه الفعل وهو من وصفه الله (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[1].

٣- إن الرواية جاءت في هذا الكتاب عن الزهري ولم يتضح الطريق الذي أثبته ابن سيد الناس عن الزهري وبينهما حوالي سبعمائة عام.

٤- إن الزهري متهم في دينه فقد كان من أعوان بني أمية واستمر في خدمتهم فقد خدم عبد الملك بن مروان ثم هشام بن عبد الملك معلماً لأولاده ثم مع يزيد بن عبد الملك قاضياً.

(١) القلم - الآية - ٤

٥- روى ابن سيد الناس بنفس الكتاب عن نفيسة بنت منية قولها: كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة، ثم يقول: وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهم شرفاً، فهل هذا إلا تناقض واضح فاضح، كيف سمح لنفسه أن يروي عن الزهري هذه الرواية وهو يصفها بهذا الوصف الذي أجمعت كل الأمة الإسلامية عليه.

ورواية أخرى في المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ للزبير بن بكار عن ليث بن سعد: أرسلت خديجة إلى عمها عمرو بن أسد فصنعت له طعاماً وشراباً حتى إذا أخذ فيه الشراب، أرسلت إلى رسول الله ﷺ أن أقبل أنت ونفر من أهل بيتك فليخطبوا إليه، فإنه سيزوجك، فأتوه فكلموه، فزوجها رسول الله ﷺ، فأمرت مكانها بحلة حبرة فألقيت عليه وببعير فنحر فأكل من الناس وبطيب فطيب به، فلما أفاق من الخمر قال: ما هذا العبير؟ وما هذا الحبير؟ وما هذا النحير قُد؟ قالوا: زوجت محمداً بن عبد الله خديجة بنت خويلد قال: ما فعلت!، قالت خديجة لا تجمع عليَ أمرين أفتت عليّ بنفسي ولم تؤامرني ثم تسفه نفسك عند قريش وقد حظرك فلان وفلان، فإن الرجل وإن يكن حدث السن قليل المال فإن له نسباً فاضلاً في قومه، فاسكت على ما صنعت فأنا كنت أحق بالغضب منك، فقبل بذلك وسكت عنه وبنى بها رسول الله[1]، ولنا في هذه الرواية كلام.

(١) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ/ج١/ ص٢٣

١- كيف يمكن أن يكون رسول الله ﷺ حدث السن وقد كان عمره على أقل الروايات يوم زواجه ٢٥ سنة، والروايات الأخرى تقول أن عمره حين زواجه ٣٠ سنة، ورواية أخرى ٣٧ سنة.

٢- ذكرنا في المناقشة السابقة أن السيدة الطاهرة كانت سيدة قريش، فلم تكن السيدة خديجة مخادعة أو ماكرة بل تحدث الجميع عن عقلها ورزانتها وعفتها.

٣- أما صاحب الكتاب الزبير بن بكار بن عبد الله فكان له في الخائنين أصول وفي الكاذبين جذور، قال عنه محمد بن علي النوفلي استحلف الزبير بن بكار رجلٌ من الطالبيين على شيء بين القبر والمنبر - قبر النبي ومنبره - فحلف وبرص وأنا رأيته وساقيه وقدميه فيهما برص كثير، وكان أبوه بكار قد ظلم الإمام الرضا عليه السلام في شيء فدعا عليه فسقط وقت دعائه من قصره فاندقت عنقه[1]، وأما جده عبد الله بن مصعب فإنه مزق عهد يحيى بن عبد الله بن الحسن وأهانه بين يدي الرسول وقال أقتله يا أمير المؤمنين فإنه لا أمان له، فقال يحيى للرشيد: إنه خرج مع أخي بالأمس وأنشد أشعاراً له فأنكرها فحلف يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة، فحم (عبد الله بن مصعب) من وقته ومات بعد ثلاثة، وانخسف قبره مرات كثيرة[2]

(١) جامع الرواة/ ج١ ص١٢٥.
(٢) معجم رجال الحديث / ج٢١ ص٦٨.

ويكفي هذا في سيرته سيرة آبائه فضلاً عن أجداده الذين قاتلوا أمير المؤمنين عليه السلام بياناً ،علماً أنهم كانوا من أشد أعداء آل محمد ،فكيف يمكن قبول روايته.

ولهم رواية ثالثة يخفون بها وجه الحقيقة فقد روى بن حجر الهيثمي في فضائل السيدة خديجة قال: عن ابن عباس- في ما يحسب حماد- أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر خديجة وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه فصنعت طعاماً وشراباً فدعت أباها ونفراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة: إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها أياه فخلقته وألبسته حلة وكذلك كانوا يفعلون بالآباء فلما سري عنه سكره نظر فإذا هو مخلق وعليه حلة فقال: ما شأني؟ ما هذا؟ قالت: زوجتني محمد بن عبد الله فقال: أنا أزوج يتيم أبي طالب؟ لا لعمري قالت خديجة: ألا تستحي أن تسفه نفسك عند قريش تخبر الناس أنك كنت سكران؟ فلم تزل به حتى رضي[1]، وهذه الرواية أقبح من تينك الروايتين وأفظع والكلام فيها يشبه ما مر فإن أباها مات في حرب الفجار أو قبلها على ما هو معروف، وثانيا ليس من شيم الطاهرة أن تكون ساقية خمر والذي كان قبيحاً عند قريش وقد عيرته حسب هذه الرواية (تخبر الناس بأنك كنت سكران) فشرب الخمر يظهر قبحه عندهم ولكن بني أمية يريدون أن تتساوى الطاهرة بهند آكلة الأكباد.

(١) مجمع الزوائد/ج ٩ ص٣٥٤.

لقد تميزت السيدة خديجة عن باقي نساء النبي ﷺ فلم يتزوج عليها مدة حياته معها وبلغت لديه منزلة لم تبلغها أي زوجة من زوجاته ولم يتزوج بعدها بسنوات حتى هاجر ﷺ إلى المدينة وكان كلما ذكرها يحن إليها ويستغفر لها وكان من شدة حبه لها أنه يكرم كل من أحبها أو كان له معها صحبة، روي عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال رسول الله من أنتِ؟ قالت: أنا جثامة المزنية قال: بل أنتِ حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف أحوالكم؟ وكيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ فلما خرجت قلت: يا رسول الله ﷺ تقبل على عجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وأنه حسن العهد من حسن الإيمان[1].

أم الكوثر:

ولدت خديجة للنبي ﷺ فاطمة عليها السلام في الوقت الذي كانت المواجهة بين الإيمان والكفر قد اشتدت ، بعد أن توفي القاسم ابن النبي ﷺ فكثر الغمز في النبي أنه لا عقب له وستنتهي رسالته ودعوته بموته (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)[2]، فأنزل الله تبارك وتعالى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)[3]،

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد/ ج٩ ص٣٨٦.
(٢) الطور - الآية - ٣٠ .
(٣) الكوثر - الآية - ١

وهو الخير الكثير من كل الجهات أما في الدنيا فشرف الرسالة وهداية الخلق وزعامة المسلمين وكثرة الأنصار والنصر على الأعداء وكثرة الذرية – من بضعته الصديقة الطاهرة – التي توجب بقاء اسمه ما دامت للدنيا بقية[1]، وهذا الامتنان على النبي ﷺ بإعطائه الكوثر وتطييب نفسه المباركة الشريفة بأن شانئه هو الأبتر ومعنى الأبتر هو المنقطع نسله، يقول السيد الطباطبائي وظاهرا لجملة [إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ] أنها من قبيل قصر القلب، إن كثرة ذريته ﷺ هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه ﷺ أو المراد بها الخير الكثير وكثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ خالياً عن الفائدة [2]، وعلى ضوء سورة الكوثر المباركة فإن الزهراء فاطمة عليها السلام هي العين الصافية التي تدفقت وسالت منها الذرية المباركة ذرية النبي ﷺ عن جابر الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وإن الله جعل ذرية محمد ﷺ من صلب علي بن أبي طالب عليه السلام[3]، أما كيف كانت ولادة السيدة الطاهرة الكبرى خديجة عليها السلام بفاطمة عليها السلام؟ فقد جاء عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قلت له عليه السلام كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ قال عليه السلام: إن خديجة لما تزوج بها رسول الله ﷺ هجرها نسوة قريش، فكن لا يدخلن عليها، ولا يسلمن عليها، ولا يتركن

(١) البيان للسيد أبو القاسم الخوئي ص٩٩
(٢) الميزان/ج ٢٠ ص٢١١
(٣) الدر النظيم/ لابن أبي حاتم العاملي / ص٣٨٠

امـرأة تدخل عليها، فاستوحشـت خديجة لذلـك وكان جزعها و غمهـا حـذراً عليـه، فلما حملـت بفاطمـة عليها السلام كانت فاطمة عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسـول الله صلى الله عليه وآله، فدخـل صلى الله عليه وآله يـوم، فسـمع خديجة تحـدث فاطمة فقال لهـا: يـا خديجة مـن تحدثين؟ قالـت: الجنين الـذي في بطني يحدثني ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرئيل يبشرني بأنها أنثـى، وأنهـا النسـل الطاهرة الميمونة وأن الله سـيجعل نسـلي منها وسـيجعل من نسـلها أئمة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضـاء وحيه، فلـم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلا أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نسـاء أن تعالينِ لتلينِ ما تلي النسـاء من النسـاء، فأرسـلن إليهـا: عصيتينا ولم تقبلـي قولنا وتزوجتي محمداً صلى الله عليه وآله يتيم أبي طالب، فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمركِ شـيئاً، فاغتمت خديجـة لذلك فبينا هي كذلك إذا دخلت عليها أربع نسـوة طوال كأنهن من نسـاء بني هاشم، ففزعـت منهن لمـا رأتهن، فقالت: إحداهن لا تحزني يا خديجة فإنا رسـل ربك إليك ونحن أخواتكِ، أنا سـارة وهذه آسـيا بنت مزاحـم- وهـي رفيقتك في الجنـة – وهذه مريـم بنت عمران- وهذه كلثم بنت عمران أخت موسـى بن عمران بعثنا الله إليك لنلـي منـك ما تلي النسـاء مـن النسـاء، فجلسـت واحدة عن يمينها والأخرى عن يسـارها والثالثـة بين يديها والرابعة من خلفهـا فوضعت فاطمة طاهرة مطهـرة... إلى آخر الحديث[1]،

(١) الخرائج والجرائح /ج٢ ص٥٢٥

فـإذا كانـت فاطمة هي الكوثر الذي خرجت منه ذرية النبي ﷺ فإن السـيدة الطاهرة الكبرى عليها السلام هي أم الكوثر، وسنتعرض في فضائلها إلى أقوال العلماء وإشاراتهم عن ذلك.

مواساتها:

أجمـع المؤرخون على أنهـا أول من آمنت بـه وآزرته على أمره ولقـد كانت شـريكة للنـبي الأكرم ﷺ في كل آلامه، والمسـلية له بمـا أصابه والمعينـة له على المكاره والمآسـي وكانت مدافعة عنه كما كان أبو طالب عليه السلام ناصراً وحامياً ومدافعاً، لقد بذلت هذه السـيدة الجليلة نفسـها ومالها في سـبيل إعلاء كلمة التوحيد وهـو مـا يدلل علـى عظمة شـخصها، ولم يكن يسـمع رسـول الله ﷺ مـن تكذيـب فيحزنـه إلا فـرج الله عنـه بخديجـة عليها السلام فتخفف عنه وتهون عليه وتشـد أزره، قال : ولما أنزل الله تعالى: «فاصـدع بمـا تؤمر وأعرض عن المشـركين» قام رسـول الله ﷺ على الصفا ونادى في أيام الموسم : يا أيها الناس إني رسول الله رب العالمـين ، فرمقه الناس بأبصارهم ، قالها ثلاثاً ، ثم انطلق حتى أتى المروة ثم وضع يده في أذنه ثم نادى ثلاثاً بأعلى صوته : يا أيها الناس إني رسـول الله، ثلاثاً فرمقه الناس بأبصارهم، ورمـاه أبـو جهـل قبحـه الله بحجـر فشـج بـين عينيـه ، وتبعه المشـركون بالحجارة فهرب حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع

يقال له: المتكأ وجاء المشركون في طلبه، وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و قال: يا علي قد قتل محمد، فانطلق إلى منزل خديجة - رضي الله عنها - فدق الباب فقالت خديجة: من هذا ؟ قال: أنا علي قالت: يا علي ما فعل محمد ؟ قال: لا أدري إلا أن المشركين قد رموه بالحجارة، وما أدري أحي هو أم ميت، فأعطيني شيئاً فيه ماء وخذي معك شيئاً من حيس[1] وانطلقي بنا نلتمس رسول الله صلى الله عليه وآله فإنا نجده جائعاً عطشاناً، فمضى حتى جازا لجبل وخديجة معه فقال علي: يا خديجة استبطني الوادي حتى أستظهره، فجعل ينادي: يا محمداه ، يا رسول الله ، نفسي لك الفداء في أي واد أنت ملقى؟ وجعلت خديجة: تنادي من أحس لي النبي المصطفى؟ من أحس لي الربيع المرتضى؟ من أحس لي المطرود في الله ؟ من أحس لي أبا القاسم؟ وهبط عليه جبرئيل عليه السلام فلما نظر إليه النبي صلى الله عليه وآله بكى وقال : ما ترى ما صنع بي قومي ؟ كذبوني وطردوني وخرجوا علي، فقال يا محمد ناولني يدك فأخذ يده فأقعده على ا لجبل، ثم أخرج من تحت جناحه درنوكا[2] من درانيك ا لجنة منسوجا بالدر والياقوت وبسطه حتى جلل به جبال تهامة، ثم أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أقعده عليه، ثم قال له جبرئيل: يا محمد أتريد أن تعلم كرامتك على الله ؟ قال نعم، قال : فادع إليك تلك الشجرة تجبك ، فدعاها فأقبلت حتى خرت بين يديه ساجدة، فقال : يا محمد مرها ترجع فأمرها

(١) نوع من الطعام يخلط فيه التمر مع الدهن.
(٢) هو بساط ذو خمل

فرجعت إلى مكانها ، وهبط عليه إسماعيل حارس السماء الدنيا فقال: السلام عليك يا رسول الله ، قد أمرني ربي أن أطيعك، أفتأمرني أن أنثر عليهم النجوم فأحرقهم، وأقبل ملك الشمس فقال: السلام عليك يا رسول الله، أتأمرني أن آخذ عليهم الشمس فأجمعها على رؤوسهم فتحرقهم ، وأقبل ملك الأرض فقال: السلام عليك يا رسول الله: إن الله عز وجل قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الأرض فتجعلهم في بطنها كما هم على ظهرها ؟ وأقبل ملك ا لجبال فقال: السلام عليك يا رسول الله إن الله قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر ا لجبال فتنقلب عليهم فتحطمهم ؟ وأقبل ملك البحار فقال: السلام عليك يا رسول الله ، قد أمرني ربى أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر البحار فتغرقهم ؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أمرتم بطاعتي؟ قالوا: نعم ، فرفع رأسه إلى السماء ونادى: إني لم أبعث عذاباً، إنما بعثت رحمة للعالمين، دعوني وقومي فإنهم لا يعلمون ، ونظر جبرئيل عليه السلام إلى خديجة تجول في الوادي فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى خديجة قد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟ ادعها إليك فاقرئها مني السلام، وقل لها: إن الله يقرؤك السلام، وبشرها أن لها في ا لجنة بيتا من قصب لا نصب فيه ولا صخب، لؤلؤاً مكللاً بالذهب، فدعاها النبي ﷺ والدماء تسيل من وجهه على الأرض، وهو يمسحها ويردها قالت فداك أبي وأمي دع الدم يقع على الأرض، قال: أخشى أن يغضب رب الأرض على من عليها، فلما جن عليهم الليل انصرفت خديجة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ وعلي عليه السلام

ودخلت به منزلها، فأقعدته على الموضع الذي فيه الصخرة، وأظلته بصخرة من فوق رأسه، وقامت في وجهه تستره ببردها، وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقته الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحيط، وإذا رمي من بين يديه وقته خديجة - رضي الله عنها- بنفسها ، وجعلت تنادي يا معشر قريش ترمى الحرة في منزلها؟ فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه[1]، وروي عن محمد بن جعفر عن أبيه عن جده قال: افتقد رسول الله علياً فاغتم لذلك غماً شديداً فلما رأت ذلك خديجة قالت: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فشدت على بعيرها ثم ركبت فلقيت علي ابن أبي طالب عليه السلام فقالت له: أركب و ائتِ رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه بك مغتم، فقال (علي): ما كنت لأجلس في مجلس زوج رسول الله صلى الله عليه وآله بل امضي فأخبري رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا قادم على أثرك، قالت خديجة: فمضيت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هو قائم يقول: اللهم فرج غمي بأخي علي فإذا بعلي قد جاء فتعانقا، قالت خديجة: ولم أكن أجلس إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً، قالت: فما افترقا متعانقين حتى ضربتا عليّ قدماي[2]، ويوجد أمثلة لهذه المؤازرة كثيرة، والملاحظة المهمة في هذه الرواية أن السيدة الطاهرة كانت من الأدب الرفيع بحيث أنها لا تستطيع الجلوس ورسول الله قائم وإن كانت متعبة بخلاف بعض أزواج النبي التي صرح القرآن عليها واللاتي تتعاون على إيذاء النبي

(١) بحار الأنوار/ ج١٨ ص٢٤٢-٢٤٣

(٢) مناقب أمير المؤمنين/ محمد بن سليمان الكوفي ج١/ ص٣٠٤.

قال تعالى: (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)[1]، فمواساة السيدة الطاهرة الكبرى كان لها الأثر العظيم في نفسه المباركة فهو حين يتذكرها لا يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، روي عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت: فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً فسقطت في يدي، فقلت: اللهم إنك إن أذهبت بغضب رسولك ﷺ لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت قالت: فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقيت قال: كيف قلتِ؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، ورزقت مني حيث حرمتموه، قالت: فغدا وراح عليّ بها شهراً ولا عجب أن نسمع أن رسول الله ﷺ كان يغضب حينما يُنتقص من السيدة الجليلة لأنها أحسنت مواساتها وبذلت ما كان لديها من أموال التي استغنى بها النبي ﷺ عن أي مال آخر وكانت خير صاحب تشد أزره في النوائب والمصائب حتى أنه عندما توفيت عليها السلام أسمى سنة وفاتها عام الحزن لما أصابه من ألم وسنعرض له في الكلام عن وفاتها.

(١) التحريم - الآية - ٤

بيت خديجة:

كان بيت السيدة الطاهرة مهبطاً للوحي والملائكة ومنه أشرق نور الإسلام ولم يجمع بيت إسلام بكل أفراده إلا بيت خديجة وكان منطلقاً لتحركات النبي ﷺ وإسرائه ومعراجه منه ولقاء المؤمنين فيه وإليه يأتي من أراد اعتناق الدين الإسلامي، وملجأ المسلمين الأوائل وكل القضايا المهمة والأحداث الإلهية في أول أيام الإسلام في دارها، فينكشف من خلال هذه المقدمة التي سنثبتها بالأرقام أن لهذه المرأة العظيمة القابلية والاستعداد العالي واللياقة الكبيرة لتحمل هذه الأحداث سواء كانت سماوية أو أرضية، وسنفهرس بعض هذه الأحداث.

١- أول لقاء للنبي ﷺ بجبرئيل في بيت خديجة:

قال ابن منير الإسكندري في كتابه الإنصاف في ما تضمنه الكشاف: القول في سورة المزمل (وأما ما نقله أن ذلك كان في مرط عائشة فبعيد، فإن السورة مكية، وبنى النبي ﷺ على عائشة بالمدينة، والصحيح في الآية ما ذكره آخراً لأن ذلك في بيت خديجة عندما لقيه جبرئيل أول مرة فبذلك وردت الأحاديث الصحيحة والله أعلم[1].

(١) ج٤ ص١٧٤.

٢- تبليغ (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[١]

روت طرقنا الخاصة وروت طرق العامة أنه لما نزل قوله تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، وهم يومئذ أربعون رجلا، الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس، فأمر علياً أن يدخل شاة فادمها ثم قال: ادنوا بسم الله. فدنى القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا بسم الله، فشربوا حتى رووا، فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل، فسكت النبي ﷺ فلم يتكلم، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك الطعام والشراب، ثم أنذرهم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل، والبشير بما لم يجيء به أحدكم، جئتكم بالدنيا والآخرة فأسلموا وأطيعوا تهتدوا، ومن يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي ويقضي ديني، فسكت القوم، فأعاد ذلك ثلاثا، كل ذلك يسكت القوم ويقول علي عليه السلام أنا فقال: أنت، فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب عليه السلام: أطع ابنك فقد أمر عليك[٢]، وهذا الإنذار لبني هاشم كان في بيته بيت السيدة الطاهرة الكبرى.

(١) الشعراء - الآية - ٢١٤.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس/ ص٢٠

٣- معراج النبي ﷺ من بيت خديجة عليها السلام

عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: إن رسول الله ﷺ لما أسري به نزل جبرئيل عليه السلام بالبراق، وهو أصغر من البغل، وأكبر من الحمار، مضطرب الأذنين، عيناه في حوافره خطاه مد بصره، له جناحان يحفزانه من خلفه، عليه سرج [من] ياقوت، فيه من كل لون أهدب العرف الأيمن، فوقفه على باب خديجة، ودخل على رسول الله ﷺ فمرح البراق، فخرج إليه جبرئيل عليه السلام فقال: اسكن فإنما يركبك [خير البشر] أحب خلق الله إليه، فسكن ثم خرج رسول الله ﷺ فركب ليلاً، وتوجه نحو بيت المقدس... إلى آخر الرواية[1].

٤- منزل خديجة منطلق لتحركات النبي ﷺ

عن الإمام علي عليه السلام قال: دعاني رسول الله ﷺ وهو بمنزل خديجة ذات ليلة، فلما صرت إليه قال: اتبعني يا علي فما زال يمشي وأنا خلفه نحن نخرق دروب مكة حتى أتينا الكعبة وقد أنام الله كل عين، فقال لي رسول الله ﷺ: يا علي قلت لبيك يا رسول الله ﷺ قال: اصعد على كتفي يا علي، قال ثم انحنى النبي ﷺ فصعدت على كتفه فألقيت الأصنام على رؤوسهم وخرجنا من الكعبة شرفها الله تعالى حتى

(١) الخرائج والجرائح/ ج١ ص٨٤.

أتينا منزل خديجة فقال لي: إن أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام فلما أصبحوا أهل مكة وجدوا الأصنام منكوسة مكبوبة على رؤوسها فقالوا: ما فعل هذا إلا محمد وابن عمه ثم لم يقم بعدها في الكعبة صنم[1]، ورواية أخرى في مسند احمد عن أبي مريم عن علي عليه السلام قال: انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله اجلس وصعد على منكبي فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وآله وقال: اصعد على منكبي قال فصعدت على منكبيه قال فنهض بي قال: فإنه يخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله نستبق حتى تواريا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس[2]، وتدل هذه الروايتان على أن هذه الحادثتين كانت قبل الهجرة ولا يستبعد وقوعها أكثر من مرة وذلك لاختلاف الصورة التي ينقلها الشريك بالعمل وهو أمير المؤمنين عليه السلام، وقيام النبي صلى الله عليه وآله ومعه الإمام عليه السلام في هذه الحركة العظيمة مثلما قام بها النبي العظيم إبراهيم عليه السلام ومن الواضح أن مكة كانت بيد المشركين والكعبة تحت تصرفهم وإلا لماذا كان النبي صلى الله عليه وآله

(١) بحار الأنوار/ ج٣٨ ص٥٨.
(٢) ج٢ ص١١٥.

والإمـام عليه السلام يتخفـون من قريش وبعد فتـح مكة تكررت هذه الحركة التطهيرية حيث رفع الله رجس الأصنام وعبادتها إلى يوم القيامة.

٥- إسلام الصحابة في بيت خديجة

قـال عبـد الرحمن بن عـوف: إنه لمـا رجع مـن اليمن وحمل رسـالة من عسـكلان بن عواكـر الحميري يعلن إسـلامه فيها ويطلب الشـفاعة في يوم القيامة، يقول: فقدمت مكة فلقيت أبـا بكـر فأخبرته الخبر، فقـال: هذا محمد بـن عبد الله قد بعثه الله رسـولاً إلى خلقه فأتـه، فأتيته وهو في بيت خديجة فاسـتأذنت عليه، ولما رآنـي ضحك فقال: أرجـو وجهاً خليقاً أرجـو لـه خيراً، ما ورائك يا أبا محمد؟ قلت: وما ذاك؟ قال: حملت إلي وديعة أو أرسـلك إلي مرسـل برسـالته فهاتها أما أبناء حمير من خواص المؤمنين، قال عبد الرحمن: فأسلمت وشـهدت أن لا اله إلا الله وأنشـدته شـعره (شـعر عسكلان بن عواكـر)[1]، وفي خـبر آخر (فأتيته في نفـر)[2]، ومن هذا الخبر نعلم أن إسـلام المسـلمين الأوائل في مكة كان في بيت السـيدة الطاهرة.

(١) كنز العمال/ ج٣ ص٢٢٩.
(٢) سبل الهدى والرشاد/ج ٢ ص١٩١.

٦- نزول الوحي في بيت السيدة الطاهرة

أغلب السور المكية نزلت في بيت السيدة خديجة ومنها سورة المدثر وسورة المزمل وسورة الفاتحة وسورة التوحيد وسورة (ن والقلم وما يسطرون)، وغيرها من السور فبيت السيدة كان مهبط الوحي ومختلف الملائكة ومحط البركات.

٧- بيت خديجة أشرف محل في مكة بعد المسجد الحرام

فقد روي عند العامة والخاصة في البركات لبيت خديجة ويكفيه فخراً بعد الذي ذكرنا أنه محل ولادة السيدة الطاهرة أم أبيها فاطمة الزهراء عليها السلام، يقول الشيخ أحمد بن محمد الحضراوي المكي الشافعي المحدّث والمؤرّخ والفقيه (إن العرصات المنيفة والأماكن الشريفة في مكة التي لا يرد فيها الدعاء هي: الحجر الأسود، والحطيم، والمستجار، وزمزم، والملتزم، وتحت الميزاب، وداخل الكعبة وبيت خديجة)[1]، فترى أخي الكريم ما عدده الشيخ أن كل الأماكن المذكورة هي في داخل المسجد الحرام إلا بيت السيدة خديجة، ويقول محي الدين النووي: (وينبغي للحاج والمعتمر أن يغتنم مدة إقامته بمكة ويكثر الاعتمار والطواف والصلاة في المسجد الحرام...) إلى أن يقول: (ويستحب أن يزور المواضع المشهورة بالفضل

(١) نقلاً عن الخصائص الفاطمية/ ج١ ص٤١٦.

في مكة وهي ثمانية عشر منها بيت المولد، وبيت خديجة)[1] ولكن للأسف لا يُذكر بيت السيدة خديجة عليها السلام ويُذكر دار الأرقم المخزومي الذي لم يلتق النبي به أصحابه إلا بعد سنتين من بعثته المباركة على أقل التقادير.

ويخطر في البال سؤال: أين انتهى المطاف ببيت السيدة خديجة عليها السلام؟ يقول الفاكهي: بيت النبي وهو المنزل الذي كانت تنزله خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وفيه مسكن رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه توفيت رضي الله عنها فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله معها وفيه ابتنى بها وولدت فيه خديجة رضي الله عنها أولادها جميعاً وفيه توفيت رضي الله عنها فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله ساكناً حتى خرج صلى الله عليه وآله زمن الهجرة، فأخذه عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه فاشتراه معاوية وهو خليفة فاتخذه مسجداً يصلي فيه وبناه بناءاً جديداً وحدوده الحدود التي كانت لبيت خديجة رضي الله عنها لم تغير، غير أن معاوية بن أبي سفيان لما بناه فتح فيه باباً من دار أبي سفيان بن حرب بن أمية فهو فيها قائماً إلى اليوم [سنة كتابة الكتاب][2] أما الأزرقي فيقول: وكان عقيل أخذ مسكنه الذي ولد فيه [النبي]، وأما بيت خديجة فأخذه معتب بن أبي لهب وكان أقرب الناس إليه جواراً، فباعه بعد من معاوية بمائة ألف درهم[3]، ونحن نرجح قول الأزرقي لأنه أقرب زمان إلى زمن الدعوى فضلاً عن ذلك فإنه كان يروي عن جده

(١) المجموع/ ج٨ ص٢٧٠.
(٢) أخبار مكة / للفاكهي/ ص٦١.
(٣) أخبار مكة/ للأزرقي/ ص٢٤٥.

والمشاهدات المروية فيه تعود إلى سنة ١٢٦ هجرية، وهذا الكتاب من أقدم المصادر عن مكة وأشهرها، نعود إلى الرواية وما فيها فإن مكر معاوية ليس بخاف على أحد وهذه طريقة انتهجها معاوية وأعداء أهل البيت لطمس آثار أهل البيت والتي هي معالم وشواهد على جهادهم وتضحياتهم محاولة منهم لمحو ذلك من ذاكرة المسلمين، وهذا الأسلوب يجد صداه عند البعض المتابع لبني أمية فهم يطمسون التراث الإسلامي الذي صدع فيه النبي ﷺ للدعوة وما زالوا مستمرين في أفعالهم المنكرة.

خديجة في القرآن:

١- عن ابن عباس قال: حين ما سئل عن قوله عز وجل (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ - وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ - وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ - وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ)[1]، قال الأعمى أبو جهل والبصير أمير المؤمنين عليه السلام، ولا الظلمات ولا النور، فالظلمات أبو جهل والنور أمير المؤمنين عليه السلام، ولا الظل ولا الحرور، والظلُ ظل أمير المؤمنين عليه السلام في الجنة، ولا الحرور يعني جهنم لأبي جهل، ثم جمعهم جميعاً فقال: وما يستوي الأحياء ولا الأموات، فالأحياء علي وحمزة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام، والأموات كفار مكة[2].

(١) فاطر - الآية - ١٩-٢٢

(٢) البحار/ ج٢٤ ص٣٧٢، تأويل الآيات/ شرف الدين الحسيني/ ج٢/ ص٤٨٠.

٢- عن أبي هارون عن أبي سعيد في قوله تعالى: (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[١]، قال: قال النبي ﷺ: قلت يا جبرئيل من أزواجنا؟ قال: خديجة، قال: وذريتنا؟ قال: فاطمة، وقرة أعين؟ قال: الحسن والحسين، قال: واجعلنا للمتقين إماما؟ قال: علي عليه السلام[٢].

٣- عن عباية عن ابن عباس قال سألته عن قول الله عز وجل، إلى أن وصل (وَوَجَدَكَ عَائِلًا)[٣]، قال: فقيراً عند قومك يقولون: لا مال لك، فأغناك الله بمال خديجة[٤].

٤- عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قوله تعالى: (وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيم)[٥]، قال: هو أشرف شراب في الجنة يشربه محمد وآل محمد، وهم المقربون السابقون، رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة وفاطمة وخديجة (صلوات الله عليهم)، وذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان ليتسنم عليهم من أعالي دورهم[٦].

(١) الفرقان - الآية - ٧٤
(٢) شواهد التنزيل/ ج١ ص٥٣٩.
(٣) الضحى - الآية - ٨
(٤) معاني الأخبار / ص٥٣. البحار/ ج٨ ص١٥٠ شواهد التنزيل/ ج٢ ص٤٣٥.
(٥) المطففين - الآية - ١٢٧
(٦) البحار/ ج٢٤ ص٦.

٥- في البحار عن تفسير علي بن إبراهيم: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ - أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)[١]، رسول الله ﷺ وخديجة وعلي بن أبي طالب عليه السلام وذريتهم تلحق بهم يقول الله: (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)[٢]، والمقربون يشربون من تسنيم بحتاً صرفاً وسائر المؤمنين[٣].

٦- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: وقوله عز وجل: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)[٤]، وهم علي وأصحابه، (والمؤمنات) وهن خديجة وصويحباتها[٥].

٧- قوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)[٦]، يقول صاحب تفسير الأمثل: لا شك أن ظاهر (أهلك) هنا أسرة النبي ﷺ بصورة عامة، إلا أن هذه السورة لما كانت قد نزلت في مكة فإن مصداق الأهل في ذلك الزمان كان خديجة وعلياً وربما شملت بعضاً من أقارب النبي الآخرين إلا أن مصطلح أهل بيت النبي ﷺ أصبح واسع الدلالة بمرور الزمن[٧].

(١) الواقعة - الآية - ١٠-١١.
(٢) الطور - الآية - ٢١
(٣) البحار/ ج٢٤ ص٧.
(٤) محمد - الآية - ١٩
(٥) البحار/ ص٣٢١.
(٦) طه - الآية - ١٣٢.
(٧) تفسير الأمثل/ ج١٠ ص١١١.

فضائل خديجة:

لقد اكتسبت السيدة خديجة عليها السلام بفضل إيمانها العميق بالرسالة الإلهية وتفانيها في طاعة الله ورسوله وحرصها العجيب على حياة صاحب الرسالة مكانة سامية جليلة عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله حتى أن النبي صلى الله عليه وآله ذكرها في أحاديث كثيرة وأشاد بفضلها ومكانتها وشرفها وذلك لإلفات النظر إلى المرأة المسلمة القدوة التي ينبغي أن يقتدى بها وبسلوكها في جميع الحالات والمجالات، وإليك بعض الفضائل وما علق عليها العلماء.

١- عن أبي رافع قال: أول من أسلم من الرجال علي عليه السلام وأول من أسلم من النساء خديجة عليها السلام، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح[١].

٢- عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله في الأرض أربعة خطوط فقال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ومريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون[٢].

٣- عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩ ص٣٥٣
(٢) ذخائر العقبى/ ص٤٢، ومسند أحمد / ج١ ص٩٣ وغيرهم كثير.

ﷺ: أمرت أن أبشر خديجة عليها السلام ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب[1].

٤- عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت للنبي ﷺ: أين أمنا خديجة؟ قال: في بيت من قصب لالغو فيه ولا نصب بين مريم وآسية، قالت: من هذا القصب؟، قال: لا بل من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت[2].

٥- عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل عن خديجة قال: أبصرتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب[3].

٦- عن ابن عباس قال: بينما رسول الله جالس مع خديجة إذ أتاه جبرئيل فقال: يا محمد أقرىء خديجة السلام وبشرها في الجنة بيت من قصب لا أذى فيه ولا نصب،

قال الصالحي الشامي: تنبيهات:

الأول: الحكمة في كون البيت من قصب وهو أنابيب الجوهر، أنها حازت قصب السبق إلى الإسلام وهو شدة المسارعة إليه

(١) مسند أحمد/ ج١ ص٢٠٥.
(٢) مجمع الزوائد /ج٩ ص٢٢٣ وغيره.
(٣) نفس المصدر.

دون غيرها رضي الله عنها، قال السهيلي: النكتة في قوله (من قصب) ولم يقل من لؤلؤ، أن في لفظ (القصب) مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، زاد غيره من جهة أنابيبه وكذا كان لخديجة الاستواء ما ليس لغيرها، وكانت حريصة على رضاه بكل ما أمكن ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها [من أزواجه]، وقوله ببيت قال أبو جعفر الإسكاف في فوائد الأخبار: المراد بيت زائد على ما أعد الله عز وجل لها من ثواب عملها، ولهذا قال: (لا نصب)، أي لم تتعب بسببه، وقال السهيلي: لذكر البيت معنى لطيف، لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث فصارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، لم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث فيه رسول الله ﷺ بيت في الإسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضاً غيرها، قال: وجزاء الفعل يذكر غالباً بلفظه، وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ (البيت) دون لفظ القصر، زاد غيره معنى آخر [ابن حجر في فتح الباري ج٧ ص١٠٤]، وهو أن مرجع أهل بيت رسول الله ﷺ إليها لما نبئت في تفسير قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[1]، قالت أم سلمة: لما نزلت دعا رسول الله ﷺ فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام فجللهم بكساء، فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي) رواه الترمذي، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة رضي الله عنها لأن الحسن والحسين عليهما السلام من فاطمة وفاطمة ابنتها وعلي نشأ في بيتها وهو صغير ثم تزوج

(١) الأحزاب - الآية - ٣٣

ابنتهـا بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها رضي الله عنها، وأصل قصب السـبق أنهم كانوا ينصبون في حلبـة السـباق قصبة، لمن سـبق اقتلعها وأخذهـا ليعلم أنه السابق من غير نزاع.

الثانـي: قـد رجح السـبكي تفضيل خديجة كما سـأذكره قال القمولـي: وقـد تكلـم النـاس في عائشـة وفاطمة أيهـا أفضل، علـى أقوال قـال شـيخنا: الصـواب القطـع بتفضيـل فاطمة وصححـه السـبكي قـال في الحلبيـات: قال بعض مـن يعتد به بـأن عائشـة أفضـل من فاطمـة وهذا قـول من يـرى أن أفضل الصحابة زوجاته، لأنهن معه في درجته في الجنة التي هي أعلى الدرجات وهو قول سـاقط ومردود وضعيف لا سند له من نظر ولا نقـل، والـذي نختاره وندين الله تعالى بـه أن فاطمة أفضل ثـم خديجـة.... ثـم قال السـبكي: والحجة في ذلـك ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لفاطمة عليها السلام: (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة) وما رواه النسائي بسـند صحيح أن رسـول الله ﷺ قال: (أفضل نسـاء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) واسـتدل شـيخنا في شـرحه بما ثبت أنه ﷺ قال: لعائشـة حين قالـت له: قد رزقك الله خـيراً منهـا، قال: لا والله مـا رزقني الله خيراً منهـا[1]، وقد اقتصرنـا علـى هذيـن التنبيهـين وأعرضنا عـن الباقي لطول الموضوع ومن أراد فليراجعه في مصدره المذكور.

(١) سبل الهدى والرشاد/ ج١١ ص١٦٠-١٦١.

٧- عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة اثنى فأحسن الثناء قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها، قال: أبدلني الله خيراً منها؟! قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس[١].

٨- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن جبرئيل كان مع النبي ﷺ فجاءت خديجة فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل هذه خديجة فقال جبرئيل عليه السلام: أقرئها من الله السلام ومني[٢].

٩- عن سعيد بن كثير قال: جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ وهو بحراء فقال: هذه خديجة جاءت بحيس في غرزتها فقل لها: إن الله يقرؤك السلام فلما جاءت قال لها: إن جبرئيل أعلمني بك وبالحيس الذي في غرزتك قبل أن تأتي فقال: الله يقرؤك السلام، فقالت: هو السلام ومنه السلام وعلى جبرئيل السلام[٣]

أقول: الظاهر من الروايات تكرر السلام على السيدة الطاهرة من الله وجبرئيل في أوقات مختلفة وأماكن متعددة.

---

(١) مجمع الزوائد / ج٩ ص٢٢٤.
(٢) مجمع الزوائد/ ج٩ ص٣٦١.
(٣) المعجم الكبير للطبراني/ ج٢٣ ص١٥.

١٠- عن عائشة قالت: أطعم رسول الله ﷺ خديجة من عنب الجنة[١].

١١- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بحسبك من نساء العالمين أربع فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم[٢].

١٢- روي عن النبي ﷺ أنه دخل على خديجة وهي تجود بنفسها فقال: أكره ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيراً كثيراً، فإذا قدمت على ضراتك فاقرئيهن مني السلام، قالت: يا رسول الله من هن؟ قال: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وكليمة أو حليمة أخت موسى (شك الراوي)، فقالت: بالرفاه والبنين[٣].

١٣- عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع؛ آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ[٤].

١٤- عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يكثر ذكر خديجة فقلت: ما أكثر ما تكثر من ذكر خديجة وقد أخلف الله

(١) مجمع الزوائد/ ج٩ ص٣٦١.
(٢) مجمع الزوائد ج٩ ص٢٢٣.
(٣) تفسير الثعلبي/ ج٩ ص٣٥٣.
(٤) مجمع البيان/ ج١٠ ص٦٥.

تعالى لك من خديجة عجوز حمراء الشدقين قد هلكت في دهر؟ فغضب رسول الله ﷺ غضباً ما رأيته غضب مثله قط وقال: إن الله رزقها مني ما لم يرزق أحداً منكن، قلت: يا رسول الله ﷺ أعفو عني والله لا تسمعني أذكر خديجة بعد هذا اليوم بشيء تكرهه[1].

١٥- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وقد ساق الحديث عن أحوال يوم القيامة إلى أن قال: ثم ينادي المنادي وهو جبرئيل عليه السلام أين فاطمة بنت محمد ﷺ؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أم كلثوم أم يحيى بن زكريا؟ فيقمن.. الحديث[2].

١٦- عن ربيعة السعدي قال: لما اختلف الناس في التفضيل رحلت راحلتي وأخذت زادي وخرجت حتى دخلت المدينة ودخلت على حذيفة بن اليمان فقال لي: من الرجل؟ قلت: من أهل العراق، فقال لي: من أي العراق؟ قال: قلت رجل من أهل الكوفة، قال: مرحبا بكم يا أهل الكوفة، قال: قلت اختلف الناس علينا في التفضيل فجئت لأسألك عن ذلك، فقال لي: على الخبير سقطت أما إني لا أحدثك إلا ما سمعته أذناي ورعاه قلبي وأبصرته عيناي، خرج علينا رسول الله ﷺ كأني أنظر إليه كما أنظر إليك الساعة حاملاً الحسين بن علي على عاتقه، كأني أنظر إلى كفه

(١) المعجم الكبير للطبراني/ ج٢٣ ص١١.
(٢) البحار/ ج١٤ ص١٦٨ وغيره.

الطيبة واضعها على قدمه يلصقها بصدره، فقال: ياأيها الناس لأعرفن ما اختلفتم فيه، يعني في الخيار بعدي، هذا الحسين بن علي عليه السلام خير الناس جداً وجدة، جده محمد رسول الله صلى الله عليه وآله سيد النبيين وجدته خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله هذا الحسين خير الناس أباً وخير الناس أماً أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام أخو رسول الله ووزيره وابن عمه وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وأمه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين... إلى آخر الحديث[1].

فكانت السيدة الطاهرة مثال الفخر والعز والشرف ولطالما افتخر بها أهل البيت النبوي مما يدلل على رفعة شأنها وعلو مقامها في نفوس أهل البيت عليهم السلام، وهذه الروايات التي ذكرناها في فضائلها كانت على وجه الاختصار مما ينبئك على عظيم مقامها وفضلها (صلوات الله عليها).

(١) تأريخ مدينة دمشق/ لابن عساكر/ ج١٤ ص١٧٢ وغيره.

وفاتها:

إن حب النبي ﷺ للسيدة خديجة وذكره لها وحزنه عليها لم يأتِ من مصلحة شخصية أو من عاطفة رحمية وإنما كان ﷺ يحب لله وفي الله ويقدر أي إنسان ويحزن لفقده ويرتبط به روحياً وعاطفياً بمقدار ارتباط ذلك الإنسان بالله وقربه من الله وتفانيه في سبيله، وفي سبيل دينه ورسالته، وعلى هذا يتوضح أنه ﷺ لم يتأثر على خديجة لأنها زوجته وإنما لما وجده فيها من قوة إيمان وصلابة في الدين وتضحية وتفانٍ في سبيل الله وما وجده من جهاد وإخلاص قل نظيره في تلك الظروف الصعبة الشديدة التي تزلزل فيها الكثير وتردد، وقد واجه رسول الله ﷺ موقفاً صعباً حينما رأى السيدة الطاهرة خديجة تجود بنفسها وتلقي نظرة الوداع على من حولها فكانت وفاتها يوم العاشر من شهر رمضان[1]، في السنة العاشرة للبعثة النبوية المباركة[2]، بعد أن أمضت تلك السنوات العشر مؤمنة صادقة مجاهدة مخلصة متفانية، فكانت أول من آمن به من النساء وصدقته وصبرت معه على الأذى والاضطهاد فهي المثال الأوفر للمرأة المسلمة والزوجة المخلصة والأم الحنونة والمربية الفاضلة.

وتوالت الآلام والأحزان على رسول الله ﷺ فقد توفي عمه أبو

(١) شجرة طوبى/ ج٢ ص٢٣٣.
(٢) تأريخ اليعقوبي/ ج١ ص١١٧ وغيره.

طالب، بعد[1] أو قبل[2]، خديجة بثلاثة أيام فقط على اختلاف الرواية وعمره ست وثمانون سنة[3]، لقد شعر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالحزن والأسى فقد عظمت خسارته بأبي طالب بعد السيدة خديجة فصرح عن ذلك بقوله: اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً[4]، وهي أشارة بل تصريح للخسارة الكبرى على هذين الفقيدين، وقد رثى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خديجة وأبا طالب فقال:

عيني جودا بارك الله فيكما

على هالكين لا ترى لهما مثلا

على سيد البطحاء وابن رئيسها

وسيدة النسوان أول من صلى

مهذبة قد طيب الله خيمها[5]

مباركة والله ساق لها الفضلا

(١) تأريخ اليعقوبي/ ج١ ص١١٧.
(٢) الكامل في التأريخ / ج١ ص٢٧٠.
(٣) تأريخ اليعقوبي/ ج١ ص١١٧.
(٤) نفس المصدر.
(٥) الخيمِ بالكسر السجية والطبيعة.

مصابهما أدجى إلى الجو والهواء

فبت أقاسي منهم الهم والثكلا

لقد نصرا في الله دين محمد

على من يعادي الدين قد رعيا إلا[1]

وخرج النبي في جنازة السيدة الطاهرة وهو في غاية الحزن ونزل في قبرها ووسدها بيده الشريفة في لحدها، وكان مدفنها في مقبرة الحجون في مكة.

هذا إيجاز عن السيدة الطاهرة الناصرة المجاهدة نسأل الله شفاعة زوجها وأبنائها وشفاعتها يوم المحشر. والحمد لله رب العالمين .

(١) البحار/ ج٣٥ ص١٤٣.

المصادر

القرآن الكريم

بحار الأنوار/ العلامة المجلسي.

الأمالي/ الشيخ الطوسي.

شجرة طوبى/ محمد مهدي الحائري.

صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج.

موسوعة الغدير/ الشيخ عبد الحسين الأميني.

فتح الباري في شرح صحيح البخاري/ ابن حجر العسقلاني.

جامع أحاديث الشيعة/ السيد حسين البروجردي.

الصحيح من سيرة الرسول الأعظم/ جعفر مرتضى العاملي.

عيون الأثر في فنون المغازي والسير/ ابن سيد الناس.

معجم رجال الحديث/ آية الله العظمى السيد الخوئي.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ ابن حجر الهيتمي.

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد/ الصالحي الشامي.

الدر النظيم/ ابن أبي حاتم العاملي.

الخرائج وا لجرائح/ الراوندي.

مناقب أمير المؤمنين/ محمد بن سليمان الكوفي.

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف/ ابن طاووس.

كنز العمال/ المتقي الهندي.

الخصائص الفاطمية/ محمد باقر الكجوري.

أخبار مكة/ الفاكهي.

أخبار مكة/ الأزرقي.

تأويل الآيات/ شرف الدين الحسيني.

شواهد التنزيل/ الحاكم الحسكاني.

معاني الأخبار/ الشيخ الصدوق.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ ناصر مكارم الشيرازي.

مسند أحمد/ أحمد بن حنبل.

المعجم الكبير/ الطبراني.

تفسير الثعلبي/ الثعلبي.

مجمع البيان/ العلامة الطبرسي.

تأريخ مدينة دمشق/ ابن عساكر.

تأريخ اليعقوبي/ اليعقوبي.

الكامل في التأريخ/ ابن الأثير.

ذخائر العقبى/ محب الدين الطبري.

الفهرس

توطئة ٣

أول المؤمنات ٥

خديجة.. أول من تنفق في سبيل الله ٩

هنيئاً مريئاً يا خديجة ١٢

أم الكوثر ٢٤

مواساتها ٢٧

بيت خديجة ٣٢

خديجة في القرآن ٣٩

فضائل خديجة ٤٢

وفاتها ٥٠

المصادر ٥٣

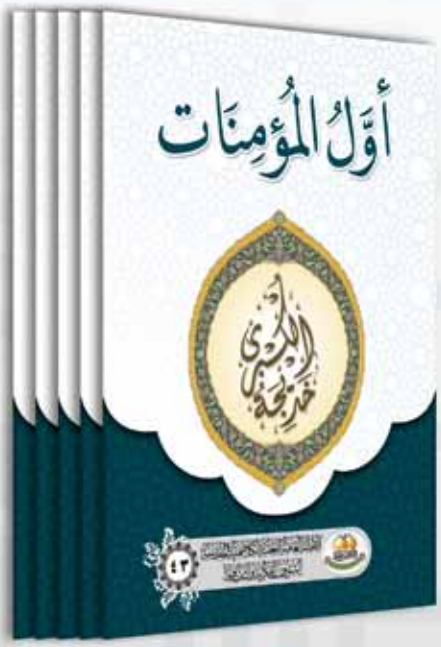

بين يدي القارئ بحث عن سيدة آمنت وآزرت وبذلت حين قل المؤمن والناصر والمنفق في مرحلة ظهور الدعوة الإلهية الخاتمة المهيمنة على الدين كله في مجتمع يصفه أحد أفراده: (كنا قوم أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف).

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
زورونا www.aljawadain.org
الشؤون الفكرية والثقافية
راسلونا fikriya@aljawadain.org